

- الثانية عشرة: وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].
والاستواء على العرش صفة فعلية ثابتة لله - عَزَّ وَجَلَّ - بالكتاب والسنة.
فمن أدلة الكتاب، قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]،
وذكر الاستواء في القرآن في سبعة مواضع^(١).

ومعنى الاستواء: العلو، والارتفاع، والاستقرار، والصعود.

والعرش أعظم المخلوقات وأعلاها، وعليه استوى ربنا استواء يليق بجلاله.

- وصفه الله بالعظمة ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وبالمجد ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ [البروج: ١٥] - على قراءة الكسر -، وبالكرم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وله قوائم، ويحمله حملة من الملائكة عظام الخلق، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

والعرش فوق جنة الفردوس؛ لقوله ﷺ: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٢).

وقد فسره أهل التعطيل بـ (الاستيلاء). والرد عليهم بما سبق.

(١) ينظر: [الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣، والرعد: ٢، وطه: ٥، والفرقان: ٥٩، والسجدة: ٤، والحديد: ٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤٢٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونزيد وجهها رابعا: أنه لا يُعرف في اللغة العربية بهذا المعنى.

ووجهها خامسا: أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكًا لله، ثم

استولى عليه بعد.

الثالثة عشر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَٰمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ

ﷺ: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ»^(١)، وَقَالَ لِلْجَارِيَّةِ: «أَيْنَ اللَّهُ-؟»

قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «أَعْتَقَهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(٢)، رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَمُسْلِمٌ

وغيرُهما مِنَ الْأَيْمَةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حُصَيْنٍ: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟» قَالَ: سَبْعَةٌ: سِتَّةٌ فِي الْأَرْضِ،

وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ:

«فَاتْرُكِ السِّتَّةَ، وَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، وَأَنَا أَعْلَمُكَ دَعْوَتَيْنِ»، فَأَسْلَمَ، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ

ﷺ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ الْهُمْنِي رُشْدِي، وَفِي شَرِّ نَفْسِي»^(٣).

وَفِيمَا نُقِلَ مِنْ عِلَامَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّهُمْ

يَسْجُدُونَ بِالْأَرْضِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهُهُمْ فِي السَّمَاءِ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ كَذَا وَكَذَا...، وَذَكَرَ الْحَبْرَ إِلَى قَوْلِهِ: وَفَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشِ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ - فَوْقَ ذَلِكَ»^(١).

ذكر المؤلف آية، وأربعة أحاديث في إثبات صفة العلو والفوقية.

والعلو صفة ذاتية ثابتة لله - عزَّ وجلَّ - بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، ومن أسماؤه (العَلِيّ) و(الأعلى) و(المتعال).

والعلوُ قسامان:

- ١ - علو ذات (علو فوقية).
- ٢ - وعلو صفة، بمعنى: أن صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلْيَا، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، فيدخل فيه علو القدر، وعلو القهر والغلبة. وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله فوق جميع مخلوقاته، مستوٍ على عرشه، في سمائه، عالٍ على خلقه، بائنٌ منهم، لا تخفى عليه خافية. والأدلة من الكتاب والسنة كثيرة جدا، منها ما ذكره المؤلف، ومن ذلك أيضا:

(١) تقدم تخريجه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقول الجارية: «اللَّهُ فِي السَّمَاءِ»، ليس المعنى أن السماء ظرف لله - تعالى -، بل تُحْمَلُ عَلَى أَحَدٍ مَعْنِيَيْنِ: الأول: أن «في» بمعنى على، كما في قول فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

الثاني: أن السماء بمعنى العلو.

وأفرد هذه الصفة بالتصنيف جماعة من أهل العلم قديما وحديثا، وبلغت ما يقارب خمسة عشر كتابا في هذه الصفة، ومنهم المؤلف ابن قدامة، فله كتاب «إثبات صفة العلو».

• تنبيه: وقع الانحراف في هذه الصفة على مذهبين:

الأول: مذهب الحلول^(١). وهو قول الجهمية.

(١) فائدة: معنى الحلول والاتحاد، والفرق بينهما:

يتكرر مصطلح الحلول والاتحاد؛ فما معناهما؟ وهل بينهما فرق؟

الحلول: معناه أن يحلَّ أحد الشئيين في الآخر.

والاتحاد: يعني كون الشئيين شيئا واحدا، ففيه معنى الامتزاج.

الثاني - من المذاهب المنحرفة في صفة العلو - : مذهب الأشاعرة.

قالوا: إنَّ الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه!.
وهذا صفة المعدوم!، كما قال بعض أهل العلم.

ومعناه باصطلاح القائلين به: اتحاد الله - عز وجل - بمخلوقاته، أو ببعض مخلوقاته.
أي اعتقاد أن وجود الكائنات أو بعضها هو عين وجود الله - تعالى - .

والفرق بين الحلول والاتحاد:

- ١ . أن الحلول إثبات لوجودين، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد.
- ٢ . أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا يقبل الانفصال.

مثال توضيحي:

السُّكَّرُ إذا وضعت في الماء دون تحريك فهو حلول؛ لأن هناك ذاتين، أما إذا حركته، فذاب في الماء صار اتحاداً؛ لأنه لا يقبل أن ينفصل مرة أخرى. أما لو وضعت شيئاً آخر في الماء كأن تضع حصة فهذا يسمى حلو لا اتحاداً؛ لأنها أصبحت هي والماء شيئين قابلين للانفصال.

مثال آخر: ورقة الشاي التي توضع في الماء المغلي؛ فبمجرد وضعها وتحريكها يتغير لون الماء ويصبح شايًا، لا ماءً. فهو بهذا الاعتبار اتحاد؛ لأن الماء والشاي لا يمكن أن ينفصلا.
وورقة الشاي يمكنك رفعها وفصلها؛ فالحالة - بهذا الاعتبار - حلول لا اتحاد.
ومن قال بالحلول: الجهمية. ومن قال بالاتحاد: غلاة الصوفية؛ كابن الفارض، وابن عربي، وغيرهما. وهؤلاء يسمون الاتحادية، أو أهل وحدة الوجود.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رَحِمَهُ اللهُ على نقله وقبوله، ولم يتعرَّضوا لردِّه ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سئل الإمام مالكُ بن أنسٍ رَحِمَهُ اللهُ فقيل: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غيرُ مجهولٍ، والكيف غيرُ معقولٍ، والإيمان به واجبٌ والسؤال عنه بدعةٌ، ثم أمر بالرجل فأخرج^(١).

وفي بعض الروايات أنه لما سئل: كيف استوى؟ أطرق برأسه حتى علاه الرُّخضاء.

وقد ورد هذا المعنى عن شيخ مالك، ربعة بن أبي عبد الرحمن، المعروف بربيعة الرأي.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وروى الخلال بإسناد - كلهم أئمة ثقات - عن سفیان بن عيينة، قال: سئل ربعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟. قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلىنا التصديق»^(٢).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤٠/٥).

قال الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ: «هذا القول محفوظ عن جماعة؛ كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي. فأما عن أم سلمة، فلا يصح»^(١).

وجواب الإمام مالك قاعدة ذهبية في باب الأسماء والصفات.

وقوله: «الاستواء غير مجهول»، أي: معلوم المعنى، وهو العلو والاستقرار كما سبق.

وقوله: «والكيف غير معقول»، أي: كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل؛ لأن

الله - تعالى - أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته، أخبرنا أنه استوى، ولم يخبرنا عن كيفية ذلك.

قوله: «والإيمان به»، أي: الاستواء، «واجب»؛ لثبوته في الكتاب والسنة.

قوله: «والسؤال عنه»، أي: عن الكيف، «بدعة»؛ لأن السؤال عنه لم يكن في

عهد النبي ﷺ، وأصحابه.

ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد؛ خوفاً من أن يفتن الناس في عقيدتهم،

وتعزيراً له بمنعه من مجالس العلم.

(١) «العلو» ص ٦٥.